دراسة عن كتاب كِتابُ الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية

أ. م. د. ثامر كاظم عبد الخفاجي
الكلية التربوية المفتوحة في بابل

الحمدُ لله مُظهر الحقّ وَمُبديه، وَمُدحض البَاطل وَمدجيه، ومسدّد الصَواب وَمُسديه وَمُشيّد بنائه ومعلّيه، وصلواته على سيّدنا مُحمَّد المصطفى وَعَلى آله المُقتَدين بِهديهِ فِيما يذره ويهديه.

تعد مناقب العلماء والأدباء وما قدموه من علم مادة ثريّة انبرى لها الإعلام واحتشدوا من أجل تدوينها في كتب ضخمة تستوقف المتتّبع وغيره، بخلاف غيرهم، فقد يترّصد لمناقبهم المتتّبع ويتلقّفها من صدر الرواة أو يتصيّدها من بطون الكتب من هنا وهناك، وكان هذا الكم الهائل بنفسه الذي تشهد له مجلّدات الكتب المخطوطة والمطبوعة، بحيث أصبح بديهياً لا ينكره إلاّ مكابر.

ويجب أن نؤكِّد بأنَّ حياةَ العلماء والأولياء الإلهيين شأنها شأن عالم الطبيعة، فيها جوانب عديدة مهما اكتُشفت وكُتب عنها، فستظل هناك جوانب مجهولة تحتاج إلى من يكشفها ويميط لثامَ الغموض عنها.

يعد كِتابُ الدلائل البرهانية للعلامّة الحِلّي [1] مِن الكُتب التَاريخية وَالوثائق المُهمّة التي أرادَ اللهُ سُبحانهُ وَتَعالى أَن تظهر بجلّي لمَرقَد سَيّدنا وَمُولانا أَمير المُؤمنين –عَليهِ السَّلامُ–، والتي قَدّمَ فيها الأحاديثُ والروايات والحُجَج وَالبرَاهين في تَعيين قبر أمير المُؤمنين عَليهِ السَّلامُ من الساعةِ الأولى التي دُفِنَ فِيها الإمام عَليّ –عَليهِ السَّلامُ– إلى حينَ ظهوره لكلّ الناس، وكانَ تأليف هذا الكتاب هو تلخيص فرحة الغري للسيّد عبد الكريم ابن طاووس الحلّي، مرتب على ترتيب أصله، قال في مقدّمته: وبعد فإني وقفت على كتاب السيّد النقيب... عبد الكريم بن أحمد بن طاووس– رحمه الله–، المتضمّن للأدلة القاطعة على موضع مضجع مولانا أمير المؤمنين –عَليهِ السَّلامُ–، فاخترت منه معظمه بحذف أسانيده ومكرراته، وسميته بالدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية.

ذكر العلاّمة الحلّي ما وردَ من الآثارِ الدالةِ على مَوضِعِ مَضجعُ أَميرَ المُؤمنين – عَليهِ السَّلامُ–، ورتّب الكتاب على مقدّمتين وخمس عشر باباً).

كان لهذا الكتاب أهمية كبيرة ؛ لأنَّه يتحدّث خصيصاً عَن قبر أَمير المُؤمنين –عَليهِ السَّلامُ–، فضلاً عمَّا كتبه علمائنا الأفاضل ككتاب المزار ليعقوب بن أبي قرة (ت 335هـ) وكتاب الأنوار في تاريخ الأئمة الأطهار للشيخ أبي علي محمّد بن أبي بكر بن سهيل الكاتب الاسكافي (ت 336 هـ) وكتاب كامل الزيارات لابن قولويه

---

(1) الحَسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي (العلاّمة الحِلّي) (ت726هـ) أبو منصور الحسن بن الشيخ الفقيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي الأسدي، المعروف بالعلاّمة الحلّي، من أئمة الشيعة، وأحد كبار العلماء، نسبته إلى الحلَّة في العراق، وكان من سكانها مولده ووفاته فيها، يتصل نسبه إلى بني أسد مؤسسي الحلَّة المزيدية والتي أسسها صدقة بن دبيس الأسدي سنة (495 هـ)، ولد في الحلَّة في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة (648هـ)، وتوفي فيها– رحمه الله– ليلة السبت 21 محرّم سنة (726هـ) عن عمر يناهز 78 سنة وأربعة أشهر إلاّ تسعة أيام، له أكثر من مئة كتاب في مختلف العلوم الإسلامية، ينظر ترجمته في: رجال ابن داود الحلّي: ص 119، دول الإسلام 178/2، مرآة الجنان وعبرة اليقظان76/4، البداية والنهاية 125/14، السلوك لمعرفة الملوك 278/2، الدرر الكامنة 71/2 رقم 1618، أمل الآمل 81/2 رقم 224، بحار الأنوار 335/30، لؤلؤة البحرين210 رقم 82، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 260/3، الكنى والألقاب 477/1، أعيان الشيعة 396/5 رقم 865، طبقات الشيعة 52/8، معجم المؤلفين 303/3، تاريخ الحلَّة 32/2، شعراء الحلّة أو البابليات 88/2، من مشاهير أعلام الحلَّة 70 رقم 41.

(ت 368هـ)، وكتاب المزار لمحمّد بن أحمد بن داود القمي (ت 368هـ) وكتاب المزار للشيخ المفيد (413هـ)، والمزار للمشهدي (ت 610 هـ) والمزار للعلاّمة المجلسي (ت 1111هـ) رحمهم الله وغيرها من الكتب والتي كانت عامّة قد ذكرت مزارات أهل البيت –عَليهِم السَّلام– كلّهم.

أمّا هذا الكتاب فقد كان خاصاً بتصحيح ما جاء حول تعيين قبر أَمير المُؤمنين– عَليهِ السَّلامُ – وذكر الزيارات الخاصّة، وقد جاء متسلسلاً مِن ساعةِ الدَفن وزيارة الأئمة السرّية للمرقَد الشريف أَيام الدولة الأمويّة ومن ثمّ ظهور القبر أيام الخَليفة هارون العباسي وزيارة الأئمة –عَليهِم السَّلام– للقبر على مرورِ الأزمان وزيارة المُلوك والأمُراء والعُلماء، والقصص وأمُور كثيرة، فضلاً عن ردّ كل الشبهات والأقاويل التي ذكرها بعض المؤرخين حول القبر الشريف بالأدلة والبراهين.

يَتفِق أكثر مترجمُو العلامّة الحِلّي وعلى الخصُوص الذين سجلّوا آثاره ومصنّفاته، على أنَّ اسم الكتاب هَو(كِتابُ الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية)، أو (الدلائل البرهانية في تَعيينِ قبر أَمير المُؤمنينَ – عَليهِ السَّلامُ–) وبهذا الاسم تقلّدت صدور الصَفحات الأولى من نسخة المَخطوط وهي: نسخة مكتبة آستان قدس، في مشهد المُقدّسة، وقد ذكرها رجال التراجم عند الرجوع إليها بإطلاق لفظ الدلائل البرهانية للعلامّة الحِلّي[1]، فلا يحُوم شكّ حول اسمه، ونسبته إلى للعلامّة الحِلّي فصحيحة وموثقة وليس فيها شك والأدّلة وكما روتها كلّ كتب التراجم والمعاجم الرجالية ومعاجم المؤلفين وكذلك إجماع المؤرخين والمترجمين الذين ترجموا للعلامّة الحِلّي رحِمهُ الله، والذين جاءوا من بعده وَكتبوا وَترجموا للائمة – عَليهِم السَّلامُ– فقد اعتمدوا على هذا الكتاب.

أَمّا الغاية التي أراد بها المؤلف أن يحققها لوضع هذا الكتاب، هو كسب رضا الله تعالى والتقرّب إليه بذكر مرقد وصيّ رسول الله – صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّم– ووضع الحجج والبراهين على ذلك وردّ المُغالين الذين يرجمون بالغيب في ذكر قبره –عَليهِ السَّلامُ–، وردّ الشبهات حول قبر أمير المُؤمنينَ وقائد الغرّ المحجلّين، فضلاً أنَّ الشيخ استجابة لأحد الأفاضل الذين طلب منه بتأليف هذا الكتاب.

موارد للعلامّة الحِلّي (رحمه الله)

مِن أجل أَنْ يَحقِق العلامّة الحِلّي ما رسمهُ لنفسهِ مِن غايةٍ، اعتمدَ عَلى المَصادِر الأَولية المُهمّة الَتي لا يمكن أن يَستغْن عَنها من كانَ يقُوم بِمثل هَذا العمل الكبير، وقد ذكر العلامّة الحِلّي تلك المصادر، ولكّن من تَابع كِتابُ الدلائل البرهانية، رأَى أنَّ العلامّة الحِلّي كانَ دقيقًا في عِباراته الواضحَة، فضلاً عَن تَهذيب عباراته المَعرُوفة وَمعانيها الجَميلة، كَوْنه عَلماً مُتضَلعاً بِكلّ العلُوم العربيةِ والإسلاميةِ كالنحو واللّغة والفقه والأدب والأنساب وغيرها من العلوم، ومن خلال دراستي إلى المخطوط وجدتُ أنَّ العلامّة الحِلّي اعتمد في تأليفه لكتاب الدلائل البرهانية على كتاب فرحة الغري لابن طاووس الحلّي وهو من شيوخ العلاّمة الحلّي فقد ذكر قائلاً: وبعد فإنّي وقفت على كتاب السيّد النقيب... عبد الكريم بن أحمد بن طاووس رحمه الله، المتضمّن للأدلة القاطعة على موضع مضجع

(1) الأفندي: رياض العلماء 379/1، الخونساري: روضات الجنات 275/2، طهراني: الذريعة 248/8 – 249، السيّد الطباطبائي: مكتبة العلاّمة الحلّي ص 244.

مولانا أمير المؤمنين –عَليهِ السَّلامُ–، فاخترت منه معظمه بحذف أسانيده ومكرراته، وسميته بالدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية.

فضلاً عن مَجموعة من كُتبِ التَاريخ والمناقب والأنساب والألقاب والكنى وكتب اللّغة والمعاجِم البُلدانية، وعن المشافهة بينهُ وبين شيوخه كأَبيهِ سديد الدين يوسف وخاله المحقّق الحلّي، فيقُول: قالَ لي سديد الدينَ والدي، وَشيخه أبو القاسم جعفر بن الحَسن (المحقِّق الحلّي) أخبرني شيخي أو أخبرني منتجب الدّين يحيى بن سعيد وأخبرني الفقيه نجمُ الدّين أبو القاسم، وَقالَ لي الشيخ نجمُ الدِّين أبو القاسم والمُقتدي يَحيى بن سَعيد وأخبرني عَبد الصمد بن أحمد، وذكر لي ابن طحال، وأخبرني الوزير المعظّم نَصير الدِّين محمَّد بن محمَّد بن الحسن الطوسي، وذكر الفَقيه السيّد صفيّ الدين محمّد بن معدّ الموسوي وأخبرني الفَقيه المُفيد محمّد بن علي بن الجهم، وقال لي الشيخ المقرئ عبد الصمد بن أحمد أبي الجيش الحنبلي، وقد اعتمد على الإسناد الذي يذكره دائماً عَن محمّد بن أحمد القُمي صاحب كتاب المزار عَن محمّد بن همّام صاحب كتاب الأنوار في الإمامة كثيراً، والسند الثاني عن شيخه عبد الصمد بن أحمد عن ابن الجوزي إلى آخر السند فهو يذكر السند بأكمله سواء عن طريق محدّثي الشيعة أو السنة، أو يقول نَقلتُه مِن خطّ الطُوسي مِن التَهذيبِ، وقد أعتمد في موضوع التاريخ على كتاب الغارات للثقفي فيذكر قالَ الثقفي صاحب الغارات، وكتاب صفّين لابن مُزاحم، وكتاب الفتُوح لابن أعثم، وكتاب المُنتظم لابن الجوزي، وأعتمد كثيراً على ابن أبي الحديد في كتاب شرح نهج البلاغة في روايات كثيرة قائلاً: وذكر عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، وذكر ابن الأثير قائلاً: وذكر علي بن الأثير في تاريخ الكبير وهو العلاّمة الشهير، وفي موضوع اللغة فقد أعتمد على ثعلب في ذكر بعض المفردات مثل الثقل وغيرها، وعلى ياقوت الحموي في معجم بلدانه قائلاً: وذكر ياقوت بن عبد الله الحموي.

أما بخصوص الروايات التي تَخصّ أهل البيت –عليهِم السَّلامُ– فقد اعتمد على كتاب الخزاز (كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الأثني عشر)، وكتاب (الوصيّة) لمحمد بن علي الشلمغاني وكتاب (المناقب) لابن شهر آشوب، إذ يقول: رأيت في كتاب المناقب لابن شهر آشوب، وأعتمد كثيراً على كتاب (الأنوار) لابن همام، قائلاً: ذكر ابن همام، قرأت في كتاب الأنوار لابن همام، فضلاً عن كتب المزارات لابن أبي قرة ولمحمّد بن أحمد القُمي، ولابن قولويه، وكتاب المزار للشيخ المُفيد، وكتاب المزار لعلي بن طاووس، وكتاب المزار للمشهدي وغيرها من الكتب.

وهناك روايات لم ترد في فرحة الغري للسيّد ابن طاووس، منها: يقول عبد الرحمن المقانعي عفا الله عنه وأنا كنت جالساً حسن الأدب مقابل الحضرة المقدَّسة فجاء رجلان يريد أحدهما يحلف الآخر في باب الحضرة الشريفة فقال له والساعة لابدَّ لك أن تحلفني وأنت تعلم إنّي مظلوم وإنَّك ليس لك قبلي شيء وانَّك تنقل ذلك لي عنادا قال لابدَّ من ذلك فقال اللَّهُمَّ بحق صاحب هذا الضريح من كان المعتدي على الآخر منا يعمى ويموت في الحال وحلفه فلمّا فرغ من اليمين غشي على الذي حلفه فحمل إلى بيته فمات في الحال، وغيرها من الروايات التي ذكرها في نسخة المخطوط.

وَصف النُسخ الخَطِيّة

توجد عدّة نسخ من كتاب (الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية) منها:

في مكتبة: كتبخانة آستان قدس، مشهد، وجاء بها اسم المخطوط: الدلائل البرهانية في تعيين قبر أمير المؤمنين –عَليهِ السَّلامُ–، للعلاّمة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (ت 726هـ)، عدد الأوراق: 23 ورقة، الموضوع: أخبار، رقم الكتاب في المكتبة: 1685، الواقف: خواجه شير أحمد، الخط: تعليق، الصفحة = 15 سطر، في كلِّ سطر (30) كلمة، طول المخطوط: 30 سم، عرض المخطوط: 13 سم.

وهناك مخطوط كتبه محمّد حُسين الخادم كتابدار سنة 1090 هجرية، في مكتبة مدرسة سپهسالار في طهران رقم 5387، باسم فرحة الغري، ولكن الأستاذ دانش پژوه ذكر في فهرسها 361/5، انّه متحد مع الدلائل البرهانية في بدايته ونهايته، واتصلت بالمكتبة بواسطة مكتبة السيّد المرعشي للحصول على هذه النسخة التي في مكتبتهم لكنَّهم أصروا بأنَّ هذه النسخة هي فرحة الغري للسيّد ابن طاووس الحلّي.

أمّا النسخة الثانية فهي نُسخة مَحفُوظة في مكتبةِ السيّد شهاب الدِّين المرعشي النَّجفي – رحمهُ الله – في قُمّ المُقَدسة، تَحتوي على 97 صَفحة، مُرقمة بالأرقامِ العربيةِ، وَوَرقها مِن النُوع القَديم تميل إلى اللون البُني وَورقَها كَذلكَ، طُول المخطُوط وعرضه20سم × 15سم، وعدد اسطرها (15) سطر في كلّ سطر (20) كلمة، حال خطّها متوسط، وَحال ورقها مُتوسط، ونُوع الخطّ نسخ، وفيها الهوامش قليلة، حالة المخطوط: كاملة لا يوجد فيها نقص، وفيها بالمقدّمة بياض قليل، والتَصحيف والتَحريف قليل، التسلسل العام للمخطوطة 14480، هذهِ النُسخة نَسخها حُسين بن عَليّ كَرنُوك الحِلّي في جمادى الآخر سنة 688 من الهجرة النبويّة على مشرفها أفضل الصلوات والتحيّة وكُتبت في حياة المُؤلف.